مركز حمورابي

# تكلفة الأبوية: دول الساحل تقاوم الغرب

# تكلفة الأبوية: دول الساحل تقاوم الغرب

بقلم كاثرين نزوكي
ترجمة ا. م. د. سعد علي حسين التميمي

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

**30** أذار **2024**

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

أعلن المجلس الوطني لحماية الوطن الحكومة العسكرية الحاكمة في النيجر، عن تعليق فوري لتعاونه الأمني مع الولايات المتحدة في 16 مارس/آذار، بعد يوم واحد فقط من زيارة رفيعة المستوى من وزارة الخارجية الامريكية والقيادة العسكرية الامريكية في افريقيا إلى نيامي، وأشار العقيد أمادو عبد الرحمن، المتحدث باسم المجلس الوطني إلى تحذيرات الولايات المتحدة بشأن علاقات النيجر المتنامية مع روسيا وإيران، والافتقار إلى البروتوكول الدبلوماسي المناسب، وتعالي الوفد الأمريكي، باعتبارها بعض الأسباب وراء قرار النيجر بإلغاء اتفاقها العسكري مع الولايات المتحدة، وهدفت زيارة الوفد إلى إعادة ضبط العلاقات مع النيجر، والتي كانت تتدهور بشكل مطرد منذ انقلاب تموز 2023 الذي أدى إلى وصول حكومة عسكرية بقيادة الجنرال عبد الرحمن تشياني إلى السلطة.

ويعد قرار الحكومة العسكرية النيجرية بإنهاء صلاتها وارتباطاتها العسكرية بمثابة ضربة لقدرة الولايات المتحدة على إبراز القوة في المنطقة، وفي العقد الماضي برزت النيجر كموطئ قدم للولايات المتحدة من اجل القيام بعمليات عسكرية في منطقة الساحل، مع وجود قاعدتين أمريكيتين رئيسيتين وما يقرب من 1000 عسكري في البلاد، وفي وسط النيجر بلغت تكلفة تركيب قاعدة للطائرات بدون طيار يشار إليها باسم "قاعدة النيجر الجوية 201" 100 مليون دولار، ولم يكتمل بناؤها إلا في تشرين الثاني 2019، وهو ما يمثل علامة على مدى سرعة تدهور العلاقات بين الولايات المتحدة والنيجر في العام الماضي، واستغرق الأمر من الولايات المتحدة ثلاثة أشهر لوصف الإطاحة بالرئيس محمد بازوم في تموز 2023 على يد الحرس الرئاسي في البلاد بأنها انقلاب، ومن خلال تصنيف الانقلاب العسكري رسميًا على أنه انقلاب، فرضت على الفور قيودًا قانونية على التعاون الأمني وعمليات مكافحة الإرهاب مع النيجر، وفي ظل فراغ السلطة الذي خلفته الولايات المتحدة، تعززت العلاقات الأمنية بين النيجر وروسيا بسرعة خلال العام الماضي، مع زيارات رفيعة المستوى قام بها مسؤولون روس، وتم التوصل إلى اتفاق بروتوكول في وقت سابق من هذا العام بين نيامي وموسكو لتطوير العلاقات العسكرية.

وأدت موجة الانقلابات في السنوات الثلاث الماضية إلى ظهور حكومات عسكرية جديدة في منطقة الساحل، والتي أعقبتها بسرعة موجة من قطع العلاقات بين تلك الحكومات وفرنسا، ومع ذلك فان هذه هي المرة الأولى التي تبدأ فيها الحكومات العسكرية الجديدة في المنطقة إنهاء العلاقات الأمنية مع الولايات المتحدة، وادت محاولة الولايات المتحدة التأثير على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية للنيجر من خلال مطالبة الحكومة العسكرية النيجرية بالحد من علاقاتها مع روسيا وإيران إلى ردة فعل عكسية كانت لها عواقب كبيرة على المصالح الاستراتيجية لكلا الدولتين.

وبدا واضحا للكثيرين أن الحكومتين الفرنسية والأمريكية تحتاجان إلى تغيير في طريقة تعاملهما مع شركائهما الأفارقة، وتحويل التوجهات الغربية تجاه منطقة الساحل (وفي الواقع القارة بشكل عام) ينبغي أن يذهب إلى ما هو أبعد من السياسة المكتوبة على الورق لبحث قضية بنائية غير ملموسة وتتمثل في ان الحكومات الغربية تواجه مشكلة الأبوية التي تكلفها شركاء في أفريقيا.

**الأبوية:**

الأبوية هي استخدام النفوذ أو الإكراه من قبل الدول الأقوى للتأثير على عملية صنع القرار في الدول الأضعف بما يتماشى مع أهداف وغايات الدول الأولى، وكان رد الفعل العنيف على الأبوية الغربية في منطقة الساحل في السنوات الأخيرة قد ساهم إلى حد كبير في تدهور العلاقة بين فرنسا والمنطقة.

وقطعت النيجر ومالي وبوركينا فاسو علاقاتها مع فرنسا لسببين رئيسيين، ويكمن الدافع الأكثر أهمية وراء تدهور العلاقات الأمنية في النجاح المحدود للعمليات الفرنسية في منطقة الساحل في وقف صعود الجماعات المتمردة والإرهابية في المنطقة، وأبرز هذه العمليات هي عملية برخان، وهي عملية مكافحة التمرد التي قادتها فرنسا في منطقة الساحل بدعم من الولايات المتحدة، والتي انتهت بشكل غير رسمي في عام 2022 عندما قطع عدد من قادة الانقلابات في المنطقة العلاقات مع فرنسا.

والسبب الثاني الأكثر اهمية في مجال قطع العلاقات مع فرنسا هو ممارساتها الأبوية، فالفرانكفونية وهي كلمة فرنسية تستخدم لوصف مجال نفوذ فرنسا في أفريقيا، اتسمت بعقود من النفوذ الاقتصادي، والتدخلات العسكرية، والتدخل السياسي، وتمتعت الدول الغربية على نطاق أوسع بتاريخ طويل في إجبار الدول الأضعف على الشراكة معها بدلاً من منافسيها.

وهذا الإكراه (سواء من الغرب أو منافسيهم) أدى إلى إنشاء حركة عدم الانحياز خلال الحرب الباردة التي تشهد عودة ظهورها في هذا العصر من المنافسة بين القوى العظمى.

## إشارة الفضيلة:

إن قضية الأبوية الغربية والمواقف الاستعمارية الجديدة تجاه أفريقيا ليست جديدة، وفي السنوات الأخيرة اعترفت الولايات المتحدة وفرنسا بسنوات من المعاملة غير العادلة وتعهدتا بتبني أساليب جديدة تقدر الاستماع والمعاملة بالمثل والاحترام المتبادل.

وتحرص استراتيجية إدارة بايدن تجاه أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى على الاعتراف بأن العلاقات الأمريكية مع أفريقيا كانت منذ فترة طويلة شراكات غير متكافئة، وتشير الإدارة في مقدمتها إلى أن "قوة الاستراتيجية تكمن في تصميمها على الخروج من السياسات التي تعامل عن غير قصد منطقة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا باعتبارها عالماً منفصلاً، والتي كافحت لمواكبة التحولات العميقة في جميع أنحاء القارة والعالم".

ويحاول الرئيس ماكرون كذلك إعادة ضبط علاقة فرنسا المتوترة مع الدول الأفريقية، وأصبحت الفرانكفونية في الوقت الحاضر مقبولة على نطاق واسع باعتبارها مشروعًا يحتضر، حيث تجتاح المشاعر والسياسات المعادية لفرنسا جميع أنحاء أفريقيا الناطقة بالفرنسية، وفي ضوء ذلك، أوجز ماكرون نهج فرنسا الجديد في التعامل مع العلاقات في أفريقيا في خطاب ألقاه في عام 2023 في قصر الإليزيه قائلا: "لضمان عدم تكرار التاريخ نفسه، هناك مسار آخر نتبعه الآن منذ ست سنوات، وهناك طريق آخر لا يجعل أفريقيا أرضا للتنافس فيها أو كسب المال منها، ويعني النظر إلى البلدان الأفريقية كشركاء نتقاسم معهم المصالح والمسؤوليات، طريق لبناء علاقة جديدة ومتوازنة ومتبادلة ومسؤولة"، وتستخدم استراتيجية إدارة بايدن في أفريقيا لغة مماثلة: فهي "ترحب وتؤكد على الفاعلية الأفريقية، وتسعى إلى إدراج الأصوات الأفريقية ورفعها في المحادثات العالمية الأكثر أهمية".

ومصدر هذه الأبوية واضح كذلك، فالقضايا الهيكلية والثقافية التي تواجهها الولايات المتحدة وفرنسا، مثل العنصرية، وكراهية الأجانب، وعودة اليمين المتطرف، والمشاعر المعادية للمهاجرين، ترتبط ارتباطا وثيقا بأساليبهما في أفريقيا، وعلى عكس فرنسا، فإن الولايات المتحدة ليست قوة استعمارية رسمية، ولكن مثل فرنسا، فإن سياسة الولايات المتحدة تجاه أفريقيا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية شابتها أيضًا الأبوية القسرية، بدءًا من التدخل السياسي إلى التدخلات العسكرية.

وإذا ما كانت مشكلة الأبوية قد تم تشخيصها منذ فترة طويلة، وتم العثور على بعض الحلول لها، فلماذا تستمر هذه المشكلة في ابتلاء فرنسا والولايات المتحدة؟

والمحاولات التي تبذلها الحكومتان الأميركية والفرنسية للتحول من الأبوية إلى الاحترام المتبادل تصطدم بمشكلة كلاسيكية: الحديث دون الكثير من العمل، فالوعود بالاحترام المتبادل والمعاملة بالمثل من جانب الحكومات الغربية تتحول إلى إشارات فضيلة دون إجراء تغييرات ملموسة في كيفية تفاعل مسؤوليها مع الحكومات والمدنيين الأفارقة، ومن المؤكد أن اللغة التي يستخدمها المسؤولون الأمريكيون والفرنسيون تجاه أفريقيا قد تحسنت بشكل كبير على مر العقود، وأسباب تدهور العلاقة بين الدول الغربية ومنطقة الساحل تذهب إلى ما هو أبعد من الأبوية، وتمارس الإخفاقات التي رافقت عملية برخان والمشاعر المعادية للغرب القائمة منذ فترة طويلة دورًا كبيرا في ذلك.

## رد فعل النيجر العنيف ضد الأبوية الأمريكية:

ان قرار النيجر بقطع العلاقات مع الولايات المتحدة جاء مدفوعًا بشكل جزئي بسبب تحذيرات الوفد الأمريكي من تطوير علاقات أوثق مع روسيا، وهو ما أثار استياء الحكومة العسكرية النيجرية، وفي بيان متلفز، وصف العقيد عبد الرحمن هذه التحذيرات الصادرة عن الوفد الأمريكي بأنها محاولة "لحرمان شعب النيجر صاحب السيادة من حقه في اختيار شركائه وأنواع الشراكات القادرة على مساعدته حقًا في مكافحة الإرهاب"، وأضاف العقيد عبد الرحمن أن الوفد فشل في اتباع البروتوكول الدبلوماسي من خلال عدم مشاركة موعد وصول الوفد وتكوينه وجدول أعماله، واستقبل رئيس وزراء النيجر علي لامين زين الوفد، لكنه فشل في مقابلة الجنرال تشياني كما كان مخططا في الأصل، وأشار العقيد عبد الرحمن في كلمته إلى أن "حكومة النيجر تدين بشدة الموقف المتعالي المصحوب بالتهديد بالانتقام من رئيس الوفد الأمريكي تجاه حكومة وشعب النيجر".

وسواء كانت هذه الإهانات الأبوية مدركة أو غير مقصودة، فإن تأثيرها المادي حقيقي: فقد فقدت فرنسا والولايات المتحدة الآن مكانتهما في منطقة الساحل، وهي المنطقة التي تشكل أهمية حيوية للأمن في غرب وشمال أفريقيا، وتأتي هذه الخسارة في الجاذبية أيضًا في وقت يتسم بالتنافس الجيوسياسي الشديد بين الولايات المتحدة والصين، وكذلك الولايات المتحدة وروسيا على النفوذ في الجنوب العالمي، وتنمو الصين لتصبح الشريك التجاري الرائد لأفريقيا، وتستمر شركة فاغنر العسكرية الروسية الخاصة (المعروفة الآن باسم فيلق أفريقيا) في إحراز تقدم باعتبارها الشريك الأمني المفضل للحكومات العسكرية في منطقة الساحل.

## تسليح الأبوية الفرنسية في منطقة الساحل:

تم استغلال المشاعر المعادية لفرنسا على نطاق واسع بنجاح من قبل مجموعتين: قادة الانقلاب في منطقة الساحل والمنافسين الغربيين، وقام القادة العسكريون في منطقة الساحل، غير المنتخبين والذين يعملون على الظهور بمظهر المتحالفين مع شعوبهم، بتحويل السخط الشعبي المناهض لفرنسا إلى سياسة، ففي بوركينا فاسو والنيجر، أنهى النقيب إبراهيم تراوري والجنرال عبد الرحمن تشياني كل أشكال التعاون العسكري مع فرنسا وطردوا السفير الفرنسي في كل من البلدين، وفي مالي لم يكتف العقيد عاصمي غويتا بقطع التعاون العسكري مع فرنسا فحسب، بل حظر أيضًا المنظمات غير الحكومية التي تلقت تمويلًا أو دعمًا من فرنسا.

وقد استفاد منافسو الولايات المتحدة أيضًا من هذا الشعور بازدراء الغرب، فقد أطلقت روسيا حملة تضليل باستخدام الأفلام المنتجة ومنشورات وسائل التواصل الاجتماعي التي تستهدف المشاعر المعادية لفرنسا، ووجدت دراسة أصدرها المركز الأفريقي للدراسات الاستراتيجية الأسبوع الماضي أن روسيا بشكل عام هي المصدر الرئيسي للمعلومات المضللة في أفريقيا، فهي مسؤولة عن 40 بالمائة من المعلومات المضللة (ما مجموعه 80 حملة موثقة) في القارة.

ومع ذلك، من المهم عدم المبالغة في تقدير تأثير حملات التضليل هذه فيما يتعلق بشعبية المشاعر المعادية لفرنسا في منطقة الساحل، فالسخط في أفريقيا الناطقة بالفرنسية تجاه فرنسا كان موجوداً منذ زمن طويل قبل التوسع الروسي المتنامي في المنطقة.

## قرارات خاسرة – خاسرة:

مع قطع وإنهاء الاتفاقية الأمنية الأمريكية في النيجر، فقدت الولايات المتحدة موطئ قدمها الرئيسي في منطقة الساحل، وهي قاعدة جوية حيوية تكلف بناؤها 100 مليون دولار، وأكسبت الولايات المتحدة سمعة سيئة، ورغم كل القيود المفروضة على الولايات المتحدة، فقد فقدت النيجر شريكا أمنيا مهما بعد الانقلاب عندما علقت الولايات المتحدة مساعداتها العسكرية إلى حد كبير، ويأتي ذلك في وقت يشهد انعداما أمنيا عميقا في المنطقة، وكانت المنطقة الحدودية بين النيجر ومالي وبوركينا فاسو معقلاً للهجمات الجهادية، وارتفع عدد حوادث العنف السياسي في النيجر في عام 2022، لكن عدد الوفيات انخفض، وفقًا للمعلومات الواردة في بيانات مشروع مواقع النزاع المسلح وأحداثها ، ووجد هذا المشروع أنه في النصف الأول من عام 2023، انخفض العنف السياسي في النيجر بنسبة(39%) تقريبًا مقارنة بالأشهر الستة السابقة (تموز-كانون الاول من عام 2022)، ويبقى أن نرى ما إذا كان هذا الزخم الإيجابي سيتم إحباطه بسبب انتهاء التعاون الأمني بين النيجر والولايات المتحدة.

ولا يزال المدنيون في مالي وبوركينا فاسو والنيجر يعانون من عواقب استمرار انتشار التمرد والإرهاب، ففي عام 2022، حدثت(43%) من جميع الوفيات العالمية المرتبطة بالإرهاب في منطقة الساحل، وفقًا لمؤشر الإرهاب العالمي، وشكلت بوركينا فاسو ومالي لوحدهما (52%) من إجمالي الوفيات الناجمة عن الإرهاب في منطقة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا، ويبدو ان الحاجة إلى المساعدة الأمنية على المدى القريب واضحة، وقد استغلت روسيا فراغ السلطة هذا لتعزيز علاقاتها العسكرية مع النيجر، على الرغم من أن شروط هذه الشراكة غير واضحة، كما توفر الشراكات الأمنية بين روسيا والحكومات العسكرية في منطقة الساحل حماية خاصة بالنظام لهذه الأخيرة، من خلال حمايتها من التهديدات الداخلية.

وبشكل عام، فشلت سنوات من العمليات العسكرية التي قامت بها دول الساحل والشركاء الغربيون في تحقيق تقدم كبير في معالجة القضايا الأمنية المتنامية، ويشير ذلك إلى فشل اسلوب (النهج العسكري أولاً) الذي لا يستطيع معالجة الأسباب الجذرية لانعدام الأمن في منطقة الساحل: سوء الإدارة، والفساد العميق الجذور، والفقر، وندرة الموارد، والمظالم المحلية.

وهناك جهود تبذلها الولايات المتحدة لمعالجة هذه الأسباب الجذرية، بما في ذلك 150 مليون دولار من المساعدات الإنسانية الأمريكية لمنطقة الساحل لمساعدة المتضررين من انعدام الأمن، لكن حجم هذه الدوافع الهيكلية للهشاشة لا يزال واسعًا.

## رمال متحركة:

وسط التنافس الجيوسياسي من جانب الولايات المتحدة والصين وروسيا، يُتاح للحكومات الأفريقية المزيد من الخيارات للشركاء الأمنيين، وتشهد منطقة الساحل أيضاً تغيراً هائلاً، حيث يطالب المواطنون الأصغر سناً والمتصلين بالمزيد من شركائهم الأجانب، وفي عالم متعدد الأقطاب، فان الخيارات عديدة وتكاليف الأبوة مرتفعة، وقد أصبح من الواضح على نحو متزايد أن الولايات المتحدة وفرنسا وغيرهما تحتاج إلى التخلي عن مواقفها المتعالية، ليس فقط من باب المجاملة، بل من أجل مصالحها الاستراتيجية في أفريقيا.

## مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،18-11-2006 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية